# مفاهيم لسانية

بقلم: سيوفي جيل وآخرون ترجمة: د. سعيدة كحيل (ج. عنابة)

## تقديـــــم

هذه ترجمة لمفاهيم لسانية من كتاب: '100 بطاقة لفهم اللسانيات' 100fiches pour comprendre la linguistique ، تفصح المفاهيم عن ماهية اللسانيات وتاريخها واللسانيات المعرفية وأنواع اللغات والعلامة وعلم العلامات والنص والمرجع وتعليمية اللغات .. بطريقة واضحة في تعريف أسس هذا العلم للطلبة والباحثين لكل من يريد التعرف على اللسانيات وفهم مصطلحاتها ومفاتيح علميتها.

### ما اللسانيات ؟ Qu'est-ce que la linguistique?

مهمة صعبة اقتراح تعريف موضوعي دقيق **للسانيات..** لأن اللسانيات علم حديث وقد تمكن علماؤها الذين أسسوا مباحثها من فهمها وإعطائها دلالة متعددة الطرح.

### 1- اللسانيات: علم جديد في القرن العشرين (XX)

#### أ- <u>أصول اللسانيات</u>:

إذا كان التأريخ لمصطلح اللسانيات، يبدأ من القرن التاسع عشر(XIX). فإننا نستطيع القول إنها أضحت علما قائما في القرن ذاته، بعد المنجزات الخطية للنحو المقارن*، بفضل الجهد التنظيري ووضع التصور للمصطلحات التي نستعملها، فإن الأسماء المعروفة التي ارتبطت بهذا الاتجاه، تعد مؤشرا على الانشغالات المتعلقة باللغة،

و هي وفق الترتيب الزمني: "وليام – د. ويتني" – William D.Whitney (1827–1894) وفرديناند دوسوسير* Ferdinand de Saussure و"ادوارد سابير (1884–1939) Edward Sapir و ليونارد بلومفيلد Léonard Bloomfield (1887–1949)".

إن الاختلاف الكبير بين مواقفهم ومواقف سابقيهم حول اللغة، هو أن كل هؤلاء المفكرين لم يكتفوا أبدا بالمقاربة التاريخية للقرن التاسع عشر XIX، وبالنسبة لهم فإن الأهم في دراسة اللغة ليس إحصاء المنجزات صغيرة التفاصيل في لسان أو آخر وتطورها التاريخي، ولكن محاولة دراسة طبيعة اللغة بطريقة تاريخية. لأجل هذا نجد عند كل هؤلاء المفكرين تفكيرا يعطي انطباعا بالبدء من الصفر حول هذه التصورات الأساسية التي هي: اللغة* واللسان* والخطاب* والكلام*. لقد نهلت لسانيات القرن العشرين من عملهم وكذا عمل مدرسة براغ.

**ب– <u>الأهداف و الطرائق</u>:**

إذا كانت اللسانيات قد تطورت خلال القرن العشرين، فلأنها ارتكزت أساسا على طموح نظري جديد بالمقارنة مع القرن التاسع عشر (XIX). وبعد ذلك تفرعت إلى مدارس عديدة ومجالات جديدة، حيث نجد في كل مدرسة من هذه المدارس وكل مجال من هذه المجالات بعض الثوابت وهي: الرغبة في خلق التطورات (المفاهيم المعرفية بكيفية جادة ودقيقة).

إن الانشغال بتطبيق الطرائق العلمية على دراسة اللغة وبخاصة إرادة الابتعاد المطلق عن كل فكرة قياس ومعيار، مثل كل ما تعلق بالقسم الجمالي والأخلاقي والتقويمي وبكل تأكيد وبمعنى واحد يمكن القول: أن في كل مكان وفي كل مرحلة كان هناك انشغال باللغة، كانت هناك لسانيات. في حين أنه إذا أردنا أن نعطي معنى للمصطلح، يجب أن نحتفظ بالاستعمال إلى قسم من إنتاج القرن التاسع عشر (XIX) والقرن العشرين. ففي القرن العشرين أرادت كل مدرسة أن تعطي معنى مختلفا لا يفهم من اللسانيات ولكن كلها أو أغلبها أكدت على دراسة الموضوع الذي عرفته بنفسها.

ويبقى علينا أن نطرح هذا السؤال: ما هي وظيفة اللسانيات؟ في طموحها و طموح السلف الذين ذكرناهم سابقا فإن اللسانيات بمعناها لا جدوى لها. فهي خطـــــاب علمي وهادف ووصفي لموضوع اللغة أو موضوع اللسان. بهذا القصد نتكلم أحيانا عن اللسانيات

العامة لكن القسم الكبير من اللسانيات له ضرورة تطبيقية، ونتكلم إذن عن اللسانيات التطبيقية، وسنذكر بعض ميادينها:أمراض اللغة والاكتساب والمعالجة الآلية للغات.

## 2- لسانيات اليوم:

### أ- التأثيرات الكبرى:

خلال القرن (XX) العشرين تطورت اللسانيات في اتجاهات متباعدة جدا الواحدة عن الأخرى، ويمكن أن نجسدها جذعا متفرعا ، إلا أنها تميزت بتأثيرات كبرى. ففي البداية كانت ذات طابع شكلي. يجب أن نفهم أن اللسانيات لها هدف وصف الألسنة و اللغة بطريقة شكلية بالصورة نفسها للرياضيات.

وقد انبثق هذا الهدف خاصة عن البنيوية الأمريكية و الفرنسية في آن واحد، المستلهمة من أعمال" سوسير".

وفي زمن ثان تميزت اللسانيات بالأعمال المنجزة في التداولية، هذه الأخيرة كان لها خاصة الاهتمام الأقل ببنية الألسنة، بما لها علاقة بالقوانين اللغوية كالكلام والخطاب.

وهكذا انساقت اللسانيات إلى الخروج من إطار تحليل الألسنة الجاد، لتصرف نظرها إلى دراسة الوضعيات التي ينجز فيها استعمال اللغة.

وأخيرا نذكر بتأثير أخير: وهو ما تعلق بالعلوم المعرفية التي تأثرت منذ عشرات السنوات باللسانيات.

### ب- التطورات المعاصرة:

ليس للسانيات اليوم الوحدة التي كانت بها منذ عشرين أو ثلاثين سنة.

فقد وظفت في كل مجالاتها حوارا مثمرا مع العلوم القريبة، سواء تعلق الأمر بعلم الاجتماع أم الأنتروبولوجيا أم علم النفس أم التحليل النفسي والعلوم المعرفية إلخ... ، كما نسجل أن الأعمال الحديثة المنجزة في اللسانيات هي غالبا من طبيعة متداخلة مع العلم.

– إن بناء اللسانيات كعلم في القرن 20، هو من الأعمال المميزة في تاريخ الفكر. ونشير أنها أثرت تأثيرا كبيرا على بقية العلوم الإنسانية التي أعارت منها الطرائق والوسائل، وبكيفية خاصة عبر الموضوعين اللذين اختارتهما اللسانيات: الألسنة واللغة، تستطيع أن تدرس أغلبية إشكاليات علوم الإنسان.

## اللسانيات التاريخية والمقارنة: La linguistique historique et comparée

نشأت اللسانيات التاريخية في القرن التاسع عشر، وهي في الأصل ثمرة الرغبة في شرح اللغة والألسنة، مخالفة للطريقة الفلسفية وبمساعدة مبادئ عالمية كبرى. وإذا كان تطورها الأساسي قد حدث في القرن XIX التاسع عشر، فإنها لم تغب خلال القرن العشرين (XX) ولكنها ارتبطت برؤية مختلفة للتغير اللساني.

## 1–طرائق ومجالات اللسانيات التاريخية

### أ– تاريخ ومقارنة الألسن:

مثلما ظهرت في القرن XIX التاسع عشر، تأسست اللسانيات على الملاحظة انطلاقا من اكتشاف اللغة السانسيكرتية. حيث كان يعتقد بوجود تشابه بين الألسن. وأن الاختلاف بين الألسن التي تعرض التشابه فيما بينها يمكن أن تشرح بكيفية نظامية ، ومن هنا نشأت فكرة أن مجموعة الألسن المنحدرة من أصل واحد لها علاقة قرابة. إن النتيجة الأولى للسانيات التاريخية والمقارنة هو توزيع الألسن على عائلات.

وفي زمن ثان ولكن بسرعة أكبر بعد هذا الإلهام الأول. اهتمت اللسانيات التاريخية بزمنية اللسان الواحد (يعقوب قريم Yacob Grim) على اللغة الألمانية مثلا، كما ارتبطت اللسانيات التاريخية أيضا بإعادة بناء اللغات المغمورة أو بالألسن القديمة التي ليس لدينا شواهد على وجودها، والصعوبة تكمن في إيجاد مادة أكيدة للألسن التي ليس لدينا أي أثر مكتوب لأممها القديمة.

**ب- مجالات اللسانيات التاريخية:**

إن وجهات النظر التاريخية يمكن أن تطبق على الصوتيات لتشرح كيف تتحول بعض الأصوات إلى أخرى بطريقة منتظمة.

(كيف نشأت الأصوات الأنفية في الفرنسية مثلا). هذه التحولات مستقلة عن معنى الكلمة وعن وضعيتها النحوية. إن الصوتيات التاريخية تدقق في هذه التغييرات المتنوعة وكيف تنتظم فيما بينها، أما علم البني التاريخي، فيشرح القواعد الدقيقة لكيفية بناء الكلمات بالجمع بين المتغير والجذر مثلا، أما علم الدلالة التاريخي فيدرس تغيرات معنى الكلمات.

- في تطورها عبر الزمن، كانت اللسانيات التاريخية أحيانا في علاقة مع علم الاشتقاق. ففي البداية ثم البحث حول أصول الكلمات ثم وصف تاريخها . إن تاريخ أسماء العلم هو فرع علمي نسميه علم أسماء الأعلام (Onomastique) والذي يجمع بين دراسة أسماء الأماكن أو ما يسمى التوبونيما (Toponymie) وأسماء الأشخاص أو الأنتروبونيميا (Anthroponymie).

- منذ ظهور الإجراء السانكروني –الآني- في اللسانيات تغير إيحاء اللسانيات التاريخية. وركزت أقل على العوامل الخارجية مدخلة في تاريخ اللسان- العوامل السياسية و الاجتماعية إلخ..) و ركزت أكثر على التاريخ الداخلي، وفي هذا نتكلم أحيانا عن اللسانيات الدياكرونية (الزمنية) التي تسعى جاهدة لمتابعة نظام اللسان عبر تاريخه.

## 2- التغيير اللساني وأسبابه

**أ- مظاهر التغيير:**

إن الألسن تتغير لا محالة فما مرد هنا التغيير اللساني؟ إذا كان هذا في القرن (19) التاسع عشر هو نوع من التغيير في الحياة الذي له قوانينه وتنظيماته، فنحن نلاحظ اليوم أنه في الحقيقة يرجع إلى عوامل معقدة كالجغرافية والسياسية والاجتماعية والجمالية... إلخ. إن الطريقة التي يكتسب بها الأطفال لغتهم الأم محددة بمثل الكيفية التي ينتشر بها فعل بين المتكلمين. وقد دخلت ثلاثة اتجاهات في الموضوع: اتجاه إلى نوع من المشابهة بين الأشكال المتقاربة و اتجاه نحو التبسيط واتجاه نحو التعقيد، والأكثر من هذا أنه على مستوى اللسان لا يتغير شيئا فجأة،

فكل شيء يتطور تدريجيا وهكذا فإن بعض المظاهر هي لمدة طويلة في تغير قبل أن تتغير حقيقة.

إن دراسة التغيير اللساني يسمح بصنع الفرق بين ما هو راجع للإرث وبين ما يرجع للاستعارة. وهكذا تعرضت بعض الكلمات في اللغة الفرنسية إلى التطور التدريجي حول نقطة الانطلاق نفسها، والبعض الآخر إما مستعارة أو بالنحت عن كلمات قديمة لاتينية. وهكذا نجد في الفرنسية الكثير من الكلمات المزدوجة التركيب ( سمع – استمع) (Ecouter – Ausculter) مثلا – وقد نحت الشكل الثاني من لاتينية القرن (17) السابع عشر XVII وتعود هذه الدراسة إلى المظهر المركب للألسن المنجزة للعديد من الاستعارات من الألسن الأجنبية وعدة تأثيرات متقاطعة.

**ب– <u>ما المعنى الذي نعطيه لتغيير اللسانيات ؟</u>:**

إننا أحيانا نحاول أن ننظر للتغيير اللساني على أنه تطور أو تقهقر – وهكذا أعتبر" فرانز بوب" Franz Bopp و" أوغست شلاشير" August schleicher في القرن التاسع عشر XIX أن الأشكال التي نستعملها اليوم هي نتاج لتحولات الأشكال القديمة، هذا التحول راجع إلى أن اللسان هو أداة استعمال للإنسان، فهو وسيلة بين يديه. فاليوم أظهرت الأبحاث تعقيد العوامل المتدخلة في التغيير اللساني وغالبا ما كان مرد هذا التغيير ليس لسبب واحد، ولكنه مزيج من عدة أسباب وقد كان القرن (19) مؤكدا على إدخال الرؤية التاريخية في دراسة الألسن والتي كانت قبل هذه المرحلة بواسطة المبادئ الكبرى وبالتجربة القليلة ففي كل المجالات كان القرن (19) حقيقة قرن التاريخ، أما اليوم فإن الإجراء الدياكروني الذي ناب عن اللسانيات التاريخية يسجل بالموازاة مع التنظير لرؤية سانكرونية.

## اللسانيات المعرفية La Linguistique Cognitive

إن العلوم المعرفية حديثة جدا، هدفها الدراسة العلمية لسيرورة الفكر إن كلمة (cognition) تنحدر من اللاتينية وتعني "المعرفة" يتعلق الأمر بالوصف والتشكيل والكيفية التي بها نفكر ونخلق تمثلا للأشياء .فما هو دور اللسانيات؟

إن الأعمال التي نستطيع تجميعها باسم " اللسانيات المعرفية" ليست دائما سهلة الترابط، ولكنها النقطة المشتركة لدراسة اللغة من وجهة عقلية.

## 1- فرضيات اللسانيات المعرفية

### أ- اللغة والفكر:

تراهن اللسانيات المعرفية على وجود وظيفة للفكر بعد وصف اللغة أولا في علاقتها مع هذه الوظيفة هذه الفكرة أسست للمرحلة اليونانية وبخاصة أرسطو والمنطق .

لكن اللسانيات المعرفية حولت الاهتمام إلى الفرضيات المنطقية والتي تحلل اللغة بناء على علاقات الحقيقة أو علاقاتها مع الواقع و تفترض أن قدرتنا على إنتاج و استقبال الملفوظ لابد أولا أن تهتم بالعلاقة مع الكفاءات الأخرى كالإدراك البصري أو الرقابة المحركة و نلاحظ أن بعض العلاقات اللسانية افترضت سيرورة عقلية لإنتاج الملفوظ أو النحو التوليدي لنعوم تشومسكي(Noam Chomsky) كنظرية جوستاف غيوم (Gustave Guillaume ).

### ب – مناهج اللسانيات المعرفية:

على ماذا نرتكز لتحليل سيرورة الفكر؟ يمكن في البداية الارتكاز على علم النفس، هكذا استلهمت اللسانيات المعرفية في البداية أعمالها من بعض النظريات النفسية للثلاثينات التي اعتبرت السلوك والكفاءات اللسانية شاملا .يمكننا الارتكاز على العلوم العصبية والوصف التشريحي للدماغ وفي تطوراتها الأخيرة تعمل اللسانيات المعرفية على اللسانيات العصبية وأخيرا يمكننا الارتكاز على العمل المجرد للنمذجة الذي أنتجه علم المنطق والذكاء الاصطناعي ( انظر التحليل الآلي للغات ).

## 2 – التيارات الكبرى للسانيات المعرفية:

### أ – النموذج المعرفي:

من جهة التفسير العام للسيرورة العقلية تملك اللسانيات المعرفية فرضيتين :

**الأولى** تعتبر عمل الدماغ يتم أساسا بوساطة أنوية المعلومات المستقلة عن بعضها والتي تصور المعلومات المتجمعة لديه.

أما الفرضية **الثانية** فتعتبر عمل الدماغ يتم عكس ما قيل سابقا وفق النوع التفاعلي.إذ يعالج الدماغ كل معلومة بوساطة قنوات توصيل داخلي وتعمل بالموازاة.

إن الفرضية التغييرية مثلا ترتبط بالنوع الأول وفق هذا الطرح لجيري فودور، و قد ذكره في كتابه "تغيير الفكر" (صدر في انكلترا (Jerry .A. Fodor) سنة 1983 و ترجم سنة 1989.

إن السيرورة العقلية تتجزأ إلى وحدات معالجة وتمثل متغيرات. هذه المتغيرات تتعلق بالتراكيب العصبية المختلفة وبتعريف العمليات المميزة .سنحاول أن نطرح فرضية. التغيير بوساطة حالة محسوسة كإعاقة القراءة (dyslexie)، لماذا يكون بعض القراء معاقين؟، وبطريقة أخرى هل يقلبون نظام القراءة لبعض الفونيمات، فحسب الفرضية التغييرية فإن هذه الظاهرة تفسر باعتبار وجود متغيرين متميزين يسمح أحدهما بإعادة تأسيس السلسلة من الصوائم عقليا انطلاقا مما نراه مكتوبا أما الآخر فيسمح بالجمع المباشر لما نقرأه بالكلمة المخزنة في الذهن باعتبار تميز هذين المقياسين ، هذا ما يفسر حالات التراجع الملاحظة في النتيجة المنجزة.

**ب- تطبيقات على علم الدلالة والنحو:**

أعطت فرضيات العلوم المعرفية في فترة (15) سنة أنماطا جديدة للأعمال التي تتعرض للمجالات التقليدية للدلالة والنقد بوسائل مختلفة. بالنسبة لأصحاب الدلالة المعرفية مثلا فإن المعلومات التي تأتينا من اللغة ومن معانينا ومن قدراتنا المحركة هي موضوع المعالجة الشاملة من الدماغ من أجل هذا يمكننا استعمال تصورات تطبق في هذه المجالات الثلاثة ولا يوجد تصور لساني خالص ولا توجد حقيقة ولا مرجع للكلمات فإنه يرتبط بتمثل مختلف، ولا يوجد إلا تمثل ذهني مرتبط به. في نظر اللساني الأمريكي رونالدو لونغاكير( Ronald . W Langacker) فحتى اسم العلم مثل (Platon)، ونعني بذلك الكتاب:( platon est sur l'étagère de gauche)

يمكن تطبيق مبادئ شبيهة بدراسة النحو وهو مجال مدروس بطريقة شكلية جدا . إن النحو حسب رأيي ليس إلا مسألة شكل فهو ينص على بنية رموز المحتوى بشكل عام ولها أصول نفسية. ولهذا رفض فصل خطة النحو عن خطة علم الدلالة وعلم التركيب وعلم الصوت والمعجم ، إذ هي تعابير مختلفة لذات البنية الرمزية ولا يمكن التفريق بينها.

يستعمل النحو المعرفي للونغاكير مصطلحات جديدة لها علاقة بالصورة بحيث تكون التصورات شاملة جدا كالأنموذج ، وهذا لا يتكلم عن الأسماء مثلا بل الأشياء . وفي الستينيات والسبعينيات، تجنبت دراسة اللغة كل ما له علاقة بعلم النفس بتأثير الشكلية .

إن اللسانيات المعرفية في علاقتها مع الفلسفة والعلوم العصبية والذكاء الاصطناعي تتعلق أساسا بالظواهر الذهنية وتفضل ربط النشاط اللغوي بالعالم الذهني أحسن من التعبير عن الصدفة أو الحقيقة.

## أنواع اللغات: Les types de langues

حين نقارن بين اللغات، فإننا ندرك إذا ما كانت تختلف عن بعضها البعض. إذ تظهر أحيانا متقاربة الوظائف.

تم اقترح تصنيف اللغات في أنواع مختلفة أو أنماط لسانية منذ القرن 19 في إطار الدراسات النحوية التاريخية والمقارنة.

**1-إرادة تصنيف اللغات:**

**أ- موضوع التصنيف:**

اجتهد النحو التاريخي والمقارن في القرن (19) في البحث عن الآلات المتقاربة بين اللغات. إذ عرف تصنيف اللغات إلى أنواع وأنماط لسانية بحسب أصواتها.بحيث اتجهت إلى الدراسة المقارنة للحالات التاريخية للغات.

واليوم نقابل المنظور الوراثي بالمنظور النمطي، وفعلا فإن التصنيفات النمطية تسبق علاقتها بالميكانيزمات اللسانية، فبعضها يمكن أن تقارن في لغات بلا قرابة وراثية. وهذا ما قاد النمطية اللسانية إلى إدراج مسافة بالنسبة لدراسة قرابة اللغات. يختص اللساني بوصف الظواهر العامة اللسانية النمطية التي تؤلف اللغة و تقارن بعد ذلك اللغات.

ــ إن الأحكام التي انطلق منها تنجز المقارنة سواء أكانت صرفية أم مفاهمية أم تركيبية، أما الأحكام الصوتية فلم تستعمل إلا نادرا.

ــ إن الهدف من علم النمطية هو تحديد مجموعات مختلفة لسانية صغرى، ونجد داخلها لغات متقاربة بنيويا.

**ب- التنميط الكبير الأول:**

اقترح المؤلفان أوغست شلايشر وفيلهالم قان هيولدت (أنظر اللسانياتr في القرن 19 ) التنميط الكبير الأول، والذي يبني على حكم صرفي تركيبي من حيث طبيعة وتكوين الكلمة. وحسب هذا التنميط يمكننا حساب أربعة أنماط من اللغات:

- في بعض اللغات كالصينية، للكلمة شكل واحد، ولا يمكن أن يتغير، سواء بالتصريف أم الإتقان( أنظر الرصيف).

- وتتميز العلاقات النحوية كالجمع مثلا بتركيب الكلمات أو بضم كلمة إضافية. « insolente » يسمى هذا النوع باللغات العازلة.

- وفي لغات أخرى فإن العلاقات النحوية كلها تتميز بإضافة السوابق أو اللفاظم المعجمية القاعدية. وتتعلق بكل سابقة علاقة نحوية من مثل ( النوع – العدد- الحالة)، وهي حالة اللغة التركية، فانطلاقا من كلمة (المنزل) « Ev » يمكن أن نشكل « evier » ( منازل)، و evierim (منازلـــي) و « evierimde » (داخل منازلي) ونسمي هذه اللغات باللاصقة .

- وفي بعض اللغات مثل اللاتينية تعبر أواخر الكلمات « Les terminaisons » عن علاقات نحوية كثيرة حاملة لمعلومات نحوية و دلالية. يمكن لها أن تعبر عن الوراثي – المؤنث و الجمع« désinence » Arum فاللاحقة روزاروم. وأكثر من ذلك فهي تعين الكلمة التي تضم لها فـــي« Rosarum » لكلمة صنف الاسم والصفة أو الضمير ولكن ليس بالفعل.

في هذه اللغات التي تعد أواخر الكلمات وترتيبها حرا نسبيا ونسميها لغات متصرفة أو مرنة (Flexionnelles) .

- وأخيرا ففي لغات أخرى يمكن للعلاقات النحوية أن تكون تعبيرية بإضافة عناصر للجذر اللغوي الوحيد أو إذا أجرينا عليها تحويلات دون أن يتغير جزء وحيد من الجملة من مكانه.

ويعطي اللساني الدانمركي بلمسلف مثالا باللغة الفرو لندية في جملـــــة كـــ: (Kanfiliornia ruinagoluarpunga) التي هي كلمة واحدة تعني جملة: أريد أن أحضر القهوة ونسمي هذه اللغات بـــ: متعددة التركيب (polysynthétiques).

– و فعلا فلا توجد لغة تسمح بالحذف الكامل في نمط ما. فبعض اللغات كالفرنسية لها لاصقة إذا أدركنا تتابع السوابق و علامات الجمع.(agglutinante) على الأقل نمطان . (flexionnelles) و متصرفة (Habitation) مثلا:

إذا لاحظنا أواخر الكلمات بالمعرفة النحوية و علامات الزمن والصيغة.

## 2– بعض مبادئ التنميط:

### أ– التنميط المفاهيمي:

اقترح اللساني الأمريكي ادوارد سابير حكما آخر كطبيعة التصورات التي تعبر عنها اللغة حيث انطلق سابير من مبدإ و هو أنه لا يمكننا تعريف أقسام الخطاب العالمي ( الاسم، الصفة، الفعل) بخصائصها الدلالية. فالفعل" يجري" مثلا لا يعرف بأنه يعبر عن حدث لأن كلمة " الجري" تعبر هي الأخرى عن الحدث.

### ا العلامة: Le signe

إن التفكير في العلامة يعيدنا إلى العلاقة بين أنظمة التعبير مهما كان نوعها وحقيقة العالم. إن تعريف هذا المصطلح تصور يبدو غير الذي نستعمله فـــــي الكلام العادي . واليوم يأخذ هذا التصور استعمالا في مجالين كبيرين هما السيميائيات واللسانيات .

## 1– العلامة في السيميـــائيات:

### أ–علاقتها بثلاثة مصطلحات:

يدرس علم العلامات في رأي الفيلسوف و رجل المنطق الأمريكي (شارل سندرس بيرس Charles Sanders Peirce 1839-1914) العلاقة بين مصطلحات ثلاثة وهي العلامة والموضوع الذي تمثله والأثر الذي يحدثه.

ففي حالة تمثيل العلامة لأكثر من موضوع أو أكثر من أثر، يصبح هذا العلم متعلقا بالتفسير والتأويل (Interprétation )

**ب-العلامات: الرموز والأيقونات، الأدلة:**

من مجموع العلامات يمكننا أن نميز الرموز والأيقونات والأدلة:

**الرمز ( Symbole)**، هو العلامات التي تحيلنا إلى الموضوع بالاصطلاح والتعاقد مثال: الضوء الأخضر علامة الطريق المسموح بعبوره؛ هذه العلامة لا تحيلنا إلى حرية المرور إلا بالاصطلاح ولذلك فهي رمز. وكلمات اللغة يمكن اعتبارها هي أيضا رموزا.

ولا تعد أيقونة (Icône) علامة الكتابة الأصلية للخصائص المطابقة للموضوع المقدم مثال: البقعة الزرقاء وعلاقتها باللون الأزرق، أما الدليل(Indice) فهو العلامة التي تعقد القرابة أو التشابه مع الموضوع الممثل، مثلا:العارض المرضي وعلاقته بالمرض.

**2-العلامة اللسانية:**

**أ-العلامة عند سوسير :**

يعود الفضل في التشكيل الأول للعلامة اللسانية لفرديناند دوسوسير( Ferdinand de Saussure ) الذي اقترح تعريفا للعلامة كنتيجة ارتباط لعنصرين متلازمين: الدال والمدلول.

* فالدال هو الصورة السمعية للكلمة أو اللفظة؛ فهو متتالية من الفونيمات وليس من الأصوات(مثال (arbra ) شجرة ) والمدلول هو تصور الذي يرتبط به، مثال : (تصور الشجرة الذي يقابل المرجع ( شجرة) كموضوع من العالم الواقعي).

وقد نتج عنه تمثيل الارتباط بين الصورة السمعية والتصور، فالعلامة اللغوية هي تمثيل عقلي وكيان نفسي وليس فيزيائيا، وللعلامة اللسانية ثلاث خصائص أساسية:

- العلامة تمثل وجهين متلاحمين . ويستعمل سوسير لتجسيد هذه الشخصية استعارة الورقة بحيث لا يمكننا وجهها دون أن نقطع ظهرها .

– العلامة اعتباطية بحيث تكون العلاقة بين الدال والمدلول من نمط التعاقد والاصطلاح فهي لا تخبر عن أي علاقة سببية و بذلك فهي تتميز بصفة الحتمية، فحين نسمع بتسمية القط قطا فإننا نرغم على استعمال هذه الكلمة لكي نتفاهم.

وليس بإمكاننا تعويضها المبادرة الخاصة بكلمة سمكة وإلا وقعنا في التباس المعنى المضاد، وحتى في التعابير الصوتية التي تعيد ضجيج الحقيقة فإن التنوع التاريخي والجغرافي للعلامات المستعملة يشهد على هذه الاعتباطية، مثل صوت الديك: كوكوريكو عند الفرنسيين الأصليين خلق صوتا جديدا عند الإيطاليين: كيكيريكي .

– العلامة الخطية: إن الدال في تسجيله الزمني يمثل سمة خطية تتتابع عناصرها مع الفارق بينها وبين العلامة كإشارة قانون المرور، حيث يمكن أن تقرأ مستقلة عن الترتيب المعين مسبقا.

**ب–استغلال مفهوم العلامة في الدراسات اللاحقة :**

يظهر الشرح الذي تقوم به التقسيمات الكبرى للسانيات تصورا للعلامة وهكذا فإن العلاقة بين العلامات ومدلولاتها يمكن أن توصف بالدلالة، وأما العلاقة بين العلامات فيما بينها فتوصف بالتركيب والعلاقة بين العلامات ومستعمليها يمكن أن توصف بالتداولية .

سعت البنوية لسنوات الخمسينيات والستينيات إلى تعميق العلاقات الممكنة بين الفكرة السوسيرية للعلامة اللسانية والتصور السيميائي العام للعلامة ، فإذا فهمت اللغة كنظام سيميائي للعلامات فإننا نلاحظ اختلافا للرموز كما هو الحال في الجبر والموسيقى.

فاللغات الطبيعية لا تمثل علاقات ثنائية الجهة بين الدال والمدلول: حيث لا يتعلق بالدال الواحد بالضرورة مدلول واحد وبالعكس فإن مدلولا واحدا لا علاقة له بالدال الواحد. إن الاستعمال اللساني لتصور العلامة، في علاقة مثيرة مع المفهوم السوسيري للسياق.

وفي حالة ما إذا كان هذا التصور اللساني أقل استغلالا في النظريات اللسانية المعاصرة فإن تصور العلامة حتى اللسانية منها مستعمل اليوم خاصة في المعنى السيميائي.

## النص: Le texte

قدمت البلاغة باعتبارها فن الإقناع وعلم أنماط النصوص، منذ القديم تعريفا للنص على انه موضوع للدراسة، وبالمقابل ميزت علوم اللغة الوحدة اللسانية لاحقا. وكان لابد من انتظار بداية سنوات (60) لكي نرى تطور تيارات لسانية اتخذت النص موضوعا قائما : كنحو النص واللسانيات النصية وتحليل الخطاب والتداولية النصية.

### 1- النص وحدة متناسقة:

### أ- النص والجملة:

إن التعريف اللساني لمفهوم النص غامض نوعا ما، والاستعمال الشائع حاليا، بالرجوع إلى التداولية النصية، يميل إلى تعريف النص بوصفه سلسلة لسانية منطوقة أو مكتوبة مشكلة وحدة اتصال.

اقترح اللساني الفرنسي إميل بنفست " EMILE Benveniste " تمييزا واضحا بين الجملة والنص إذ ترتبط في الجملة وحدات مختلف المستويات لتدخل في تركيب وحدة الصف الأعلى وهكذا يرتبط الفونيم بمورفيمات أخرى في تركيب الجملة في إطار احترام قواعد التركيب. وبالمقابل فحين ترتبط هذه الوحدات لتكون نصا فإن الجمل لا تفعل ذلك بكيفية الفونيمات أو المورفيمات. فهي لا تدخل في وحدة الصف الأعلى وفق قواعد خاصة، وأكثر من ذلك يمكن القول حسب نظر "بنفست" فإن جملة تسبق أو تلحق جملة أخرى في علاقة التتابع، ذلك أن مجموعة من الجمل ليست وحدة من الصف الأعلى للجملة.

### ب- النص في نظر بنفست:

يعتبر " بنفست " أن تحليل النص لا يمكن إجراؤه إلا في شكل ملفوظ، معنى ذلك،إذا كان مرسلا بغاية قول شيء لمتكلم في وضعية اتصال خاصة. وهو يفترض أن المعبرين لكي يعبروا عما ينوون قوله يستعملون رمز اللغة بكيفية أكثر ارتباطا بالموقف.

إن تحليل مختلف طرق التعبير عن الرسالة التي هي مركز دراسة النص عند "بنفست".

يضع في المقدمة الظواهر المرتبطة بالتلفظ، ويميز كل نمط لاستعمال اللغة، وفق خصائصه التلفظية، بهذه الكيفية يقترح "بنفست" تمييزا بين التاريخ أي "القصـــــة التاريخية" و"الخطاب".

إن دراسات النصوص المستلهمة من أعمال بنفست تبحث في تمييز استعمال اللغة في الاتصال حيث تلاحظ بقوة المواقف الإيديولوجية للمعبرين.

هكذا تأسست المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب وتظهر "اللسانيات" معينة للتاريخ أو علم الاجتماع.

**2- <u>المقاربة الأمريكية للنص</u>:**

**أ-<u>النص حسب رأي هاليدي وحسن:</u>**

اقترح اللسانيان" ميخائيل أ- ك هاليديMICHAEL A.K HALLIDAY" "ورقية حسن" (RUQAIYA HASAN) تصورا لدراسة النص، فهما متفقان مع" بنفست" للقول بأن النص ليس وحدة نحوية مثل الجملة: فالنص ليس جملة كبيرة، هو وحدة من طبيعة أخرى: وحدة استعمال اللغة بالأحرى دلالية. ولا يعرف النص حينئذ بحجمه : فيمكن أن يكون النص كلمة بسيطة أو جملة بسيطة أو مجموعة جمل أو رواية. يكفي فقط أن تكون ملفوظة في وضعية اتصال.

تطبق أعمال هاليدي و حسن أساسا على العبارات التي تضمن نوعا من الديمومة للنص، هذه العبارات هي عموما آثار العلاقات التي تقيمها الجمل فيما بينها لكي تشكل نصا.

إن دراسة روابط ترابط النص المسهمة في نسجه هي إذن التي يدعونا إليها اللسانيون الأمريكيون.

وهكذا ندرس ظواهر الإرجاع (الاستعارة) بالضمائر والارتباطات بين الجمل بالروابط (Or , Mais) أو الظروف (أكيد – إذن ....).

لقد حاول بعض اللسانيين وصف خصوصيات البنائية النحوية للنص. وفي مسار النحو التوليدي الذي مهد لها نعوم شومسكي (Noam Chomsky) مثلا اقترح لسانيون من بينهم" تون أدريانوس فان دجيك "(Teun Adrianus , Van Dijk) إعداد نموذج نحو النص، وحسب نظر هؤلاء اللسانيين بمثل ما يستطيع المعبرون التمييز بين الجمل النحوية و الجمل اللانحوية. بمثل

ما يستطيعون التعرف على النصوص المشكلة جيدا من متتالية الجمل بالصدفة. حينئذ يبحث اللسانيون في تمديد نحو الجملة وتحديد قواعد التشكيل الجيد والتي تسمح للمعبرين بوضع حد فاصل بين النصوص واللانصوص، فهم ينقلون إذن من الجملة إلى النص الأحكام النقدية للنحوية والقابلية (أنظر الخطأ) التي نجدها في النحو التوليدي، والهدف من مثل هذه المقاربة هو إعداد اتساق النص.

بالإضافة إلى قواعد التشكيل الجيد، يدرس هؤلاء اللسانيون القرابة المبنية بين النصوص المختلفة سطحيا ينتج عنه في مستوى النص قواعد التحويل مثل التي نجدها في مستوى الجملة، إنها إذن فكرة الكفاءة اللسانية التي نجدها مستغلة في مستوى النص.

وتعتبر التداولية اللسانية أن بناء النص ليس نتيجة تطبيق بعض القواعد ولكنه نشاط ومسار يخضع لقصور من نوع معرفي واتصالي.

لقد تأسست اللسانيات النصية بالنسبة للكثير في تقارب مع لسانيات الجملة، وحكم على هذه الأخيرة بأنها عقيمة وعاجزة لإعادة النظر حول تعقيد الخطاب. لقد تعمقت الهوة بين المقاربتين تدريجيا واليوم وبعد مرحلة من القطيعة القوية يبحث اللسانيون على إعادة الاعتبار لدراسة الاتصال.

## علم العلامـــــات: La sémiologie

علم العلامات حديث على الرغم من استعماله لبديهيات قديمة، لقد تطور في فترة متزامنة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي في القرن XX العشرين.

### 1-علم العلامات:

#### أ- السميائية أو السيميولوجيا:

يتنافس مصطلحان على تعيين علم عرف في سنوات الستين و السبعين انتشارا كبيرا، إنهما مصطلحا السيميائية Sémiotique والسيميولوجيا Sémiologie..، هذان المصطلحان يتجذران في اللغة اليونانية (Sémeion) والتي تعني العلامة (Signe) .

ويعد المصطلح الفرنسي السيميائية Sémiotique ترجمة عن الإنجليزية "سيميوتيكس" (Sémiotics) الذي استعمله لأول مرة في القرن 18 الثامن عشر (XVIII) الفيلسسوف الإنجليزي" جون لوك "(John Locke) معلنا ميلاد هذا العلم الذي طوره" شارلز ساندرز بيرس" (Charles Sanders peirce) (1914 – 1839) و" شارلز موريس" (Charles morris). فأما مصطلح السيميولوجيا (Sémiologie) فقد أنشأه،" فردينا ند دو سوسير" ( Férdinand DE SAUSSURE) و تبنته الحركة البنوية في فرنسا. ويمكن أن نذكر" كلود لوفيس ستراوس" (Claude Lévi-Straus) في مجال الاتنولوجيا و" رولان بارت "(ROLAND BARTHES) و"جوليا كريستيفا "(Gulia Kristeva) في مجال تحليل الأدب.

إن السيميولوجيا المستلهمة من فرنسا تتميز بطابعها اللساني، وقد اقترح التمييز بين السيميائية و السميولوجيا ولكنه لم يرفض.

وبصفة عامة فإن السميولوجيا (سنستعمل من هنا فصاعدا هذا المصطلح الوحيد) هي دراسة لكل نظام معنى "في اللغة."

وهكذا العلاقات الاجتماعية والفنون والمعتقدات وقوانين الألبسة، وهي ليست أنظمة شفوية يمكن دراستها كأنظمة علامات، وبمعنى أخر كلغات. بالنسبة لسوسير فالسيميولوجيا هي " العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل المؤسسة الاجتماعية ." فنستطيع أن نجد فيها ما يميز كل لسان كالبعد التركيبي (ويمثل العلاقة الشكلية بين العلامات) والبعد الدلالي (ويمثل العلاقة بين العلامات وما تعنيه) والبعد البراغماتي (ويمثل العلاقة بين العلامات ومستعملها داخل الاتصال).

وبصفة أكثر خصوصية نستطيع اعتبار السيميولوجيا دراسة نظرية لكل ما هو رموز ونحو وأنظمة وعقود، كذا كل ما له علاقة بإرسال المعلومة. وتصنف السميولوجيا مثلا مختلف أنماط العلامات وفق وظائفها. ويمكن لها أن تهتم بما يميز استعمال الحيوانات للعلامات واستعمال الناس لها، ومحاولة توضيح العلاقة بين الاتصال الحيواني وتطور لغة الإنسان.

**ب- <u>التصورات ومجالات تطبيق السميولوجيا:</u>**

تؤسس السميولوجيا على ثلاثة تصورات أساسية: تصور الرمز وتصور العلامة ثم تصور النظام.

بالنسبة للسميولوجيا كل لغة بمعناها الواسع هي رمز ينبني على تنظيم مجموعة من العلامات. ومن الواضح أن السيميولوجيا هي في قسمها الأكبر تفسير.

وحسب نظر موريس (Mauris) مثلا " فإن شيئا ليس علامة " إلا لأنه مفسرا كعلامة شيء ، فالسيمولوجيا ليست خزان معارف: فهي بالأحرى نظرة وتفسير أبدي.

ونستطيع أن نطبق هذه النظرية على عدد كبير من الوظائف الإنسانية، ولنأخذ مثلا حالة الفن، يشير الرسام هنري ماتيس (Henri matisse)، أننا في الإبداع الفني نبتكر علامات والتي ليس لها قيمة إلا لحظة إبداعها، وفي إطار العمل الذي يبين أين تجد المكان المناسب وأنها خارج هذا الزمن وهذا الإطار لا قيمة لها .

ولهذا فإن الرسم والموسيقى والسينما يمكن أن تحلل كأنظمة علامات وبالمثل توجد سميولوجيا الثقافة.

## * السيمولوجيا واللسانيات

**أ- <u>العلاقات المتميزة:</u>**

للسميولوجيا واللسانيات علاقات متميزة، فيمكن أن ترى بيسر بطريقة سميولوجية، وإذا اعتبرنا الألسن أنظمة علامات، تصبح إذا فرعا من السميولوجيا، تلك التي تدرس اللغات بالنسبة لسوسير " فالعلامات اعتباطية تماما وتحقق أكثر من غيرها الإجراء السميولوجي لأجل هذا كان اللسان أكثر أنظمة التعبير تعقيدا وانتشارا وأكثر تميزا عن غيره.

في هذا المعنى يمكن للسانيات أن تصبح رائدة لكل سميولوجيا على الرغم من أن اللسان ما هو إلا نظاما خاصا.

وتاريخيا تطورت السميولوجيا في تعاون مع اللسانيات فقد أعارت التصورات للفونولوجيا (علم الاصوات) واستلهمت أعمال رومان جاكبسون (Roman jakobson)* ولويس ترول يلمسلف* (Louis trolle Hjelmslev)

**ب- <u>أهمية " اللسان"</u>:**

* أعتبر العديد من السميولوجيين أن اللسان هو من أهم أنظمة العلامات. اقترح بارت (Barthes) مثلا إدخال السميولوجيا ضمن اللسانيات. بالنسبة له فإن العلامات اللالسانية تحددها بقوة اللغة. لأجل هذا اعتبرت اللسانيات في الستينيات كعلم قاعدي للعلوم الإنسانية بواسطته نستطيع تحليل كل لغة مهما كانت.

* لقد مارست السميولوجيا تأثيرا قويا على بعض المجالات التقليدية للسانيات: كالتحليل الشكلي للنص الأدبي مثلا، كما ساهمت في جلب الاهتمام لمجالات هامشية بالنسبة للسانيات: كتحليل الاتصال غير الشفوي (لغة الإشارات مثلا).

لقد كان دور السميولوجيا رئيسا في تطور اللسانيات بعد سنة 1945، فتحت تأثير "الرائد" الذي يعد اللسانيات فإن السميولوجيا قد اتسعت لتشمل تقريبا كل العلوم الإنسانية فأما اللسانيات فقد نوعت مقاربتها للغة و اللسان.

## تعليميـــة اللغـــات: Didactique des langues

- تبين لنا من اكتساب اللغة كيف يفكر اللسانيون بكيفية تملك الطفل للغته الأم، ولكن كيف يكون اكتساب اللغة الثانية وهل أن مسار الاكتساب هو نفسه ؟ هل توجد إمكانيات التدخل في هذا المسار لجعله أكثر كفاءة.

### 1- الاكتساب وتعلم لغة ثانية

**أ- <u>المســـــار المختلف:</u>**

* على حين أن اكتساب اللغة هو موضوع عديد من الدراسات منذ زمن طويل، فإن اكتساب الطفل أو الكبير للغة ثانية لم يدرس إلا منذ زمن قريب.

* لقد اقترح بعض المنظرين تحت تأثير نعوم شوميسكي (Noam chomsky) إجراء تمييز بين الاكتساب – هذا المسار الذي يكتسب به الطفل لغته الأم، والتعلم وهو مسار يتعلم به الطفل أو الكبير لغة ثانية، في الحالة الأولى نرى أن الإكتساب يجري في قسم أكبر بكيفية لا إرادية وفي جهل قواعد اللغة.

أما الحالة الثانية فيتعلق الأمر بالتعلم الإرادي يقوم إدراك القواعد بدور كبير، ويدعي الشخص الموجود في وضعية تعلم متعلما ، يذكر كثير من المختصين أن اكتساب الطفل للغة الأم، ينجز في مرحلة حرجة وأن هذا التطور يلتقي مع اكتساب كليات اللغة* – واستعداده للاتصال * . ونفرض أيضا أن الظروف التي تتحكم في تحقيق هذا التطور لا تحضر إلا مرة واحدة في حياة الفرد، هذا ربما يفسر لماذا لدينا صعوبات جمة لتعلم لغة أجنبية تظهر في الكبر.

**ب- <u>نقاط تلاق مشتركة ؟</u>**

* تفترض هذه النظرية قطيعة جذرية بين اكتساب اللغة الأم وتعلم لغة ثانية. وقد كانت موضوعا لمدة عشرية من الزمن تقريبا، و تعرضت لنقد كثير. وإذا كان البحث في هذا المجال غير متجانس فهو يعقد العزم على إنشاء تنوع لعوامل اكتساب بعض جوانب اللغة.

ومن وجهة نظر علم اللغة النفسي "psycho- linguistique" يظهر أن اكتساب اللغات تطور خاضع لقوانين دقيقة محددا في إيقاعه ودرجة وصوله إلى نتائجه بالعوامل الخارجية مثل التأثرية أو المحيط الاجتماعي ، هل نتعلم بالكيفية نفسها حين يكون التعلم تلقائيا أو عند ما يكون متأثرا بالتدخل المنهجي والتفكير فيه كتعليم ؟ وهل يقوم السياق الذي نتموضع فيه لتمارس اللغة بدور ما ؟

إن الدروس المستخلصة من التجارب المنجزة، تبقى اليوم أيضا جزئية ولكنها سمحت للتعليمية بإعداد طرائق كثيرة.

## 2- التعليمية وطرائقها

**أ- <u>اكتساب موجه</u>:**

* وضعت التعليمية فرضية تقول أنه بإمكاننا التدخل بكيفية معنوية في تطورها الطبيعي والذي هو اكتساب لغة خاصة، أي لغة أجنبية.

* نستطيع اكتساب لغة أجنبية في ظروف وأعمار مختلفة جدا، والمعرفة المسبقة والكاملة للغتنا مثلا، أو ونحن مازلنا نكتسبها ونستطيع اكتساب لغة أجنبية آليا. بمعنى بطريقة غير موجهة أو بالعكس ونحن في حالة توجيه تكون التعليمية في مرحلة أولى، تفكيرا نظريا حول كل أشكال الاكتساب الموجه للغة.

**ب- <u>بعض أمثلة الطرائق:</u>**

استلهمت الطريقة التقليدية لتعليم اللغات الأجنبية من التعليم اليوناني واللاتيني، أي اللغات الميتة: ويتعلق الأمر بربط تعلم المعجم Lexique (بوساطة القواميس) والنحو بكيفية ترجمة لغة إلى أخرى، تخلت الطريقة المباشرة عن كل شكل للتذكر أو الترجمة، وتتأتى هذه الطريقة بانغماس كامل للمتعلم في اللغة الثانية دون تدخل من اللغة الأم، والهدف هو وضع المتعلم في ظروف يجد فيها نفسه حاضرا لغويا إذا زار ذلك البلد. وتنشيط رغبة لتعلم هذه اللغة الثانية و كأن الأمر يتعلق باللغة الأم، تعمل التعليمية جاهدة على إعادة الإنتاج اصطناعيا بواسطة ألعاب الدور مثلا في ظروف اكتساب غير موجه للغة.

لقد تطورت الطرائق السمعية الشفوية والسمعية البصرية في سنوات 50 منبهة لضرورة المعرفة النشطة للغة وتأسست الطريقة الاتصالية على الكفاءات الاتصالية للمتعلم ويتعلق الأمر في البداية بإعادة بناء وضعيات مجسدة للاتصال.

إن الاتجاه الحديث الذي هو "الانتقائية" Eclectique يود تأكيد الرأي، وهو أن كل طريقة إذا كانت" خصوصية" ليست مقنعة إلا لها. ويسجل هذا الاتجاه ضمن حركة نسبية (Relativise) لنظريات المراحل السابقة، وتوحي بالأحرى لمزيج من الطرائق وكذا الأخذ في الحسبان بخصائص المتعلم، سواء في مستوى كيفية الإيصال أم اللاأمان في مواجهة لغة أو ثقافة مختلفتين. تحت تأثير نظريات الاكتساب تأسست تعليمية اللغات في سنوات (60 و70) كعلم، باقتراحها نماذج شاملة جدا لتعلم لغة أجنبية، واليوم يظهر أنها تتوجه في مسالك عملية واقل نظرية.

## المرجـــــع Le référent

ما علاقة اللغة مع الواقع الحقيقي؟ هل هو انعكاس لصورة العالم الواقعي أم إعادة بناء له؟

تكمن إحدى وظائف اللغة، وهي الوظيفة الإيحائية في وصف العالم وتنفيذه، فكلمات اللغة تعبر عنه. ويبقى علينا إيضاح العلاقات بين العلامة والموضوع الذي هو هذا العالم الخارجي عن اللغة ونسميه "المرجع".

### 1- هل اللغة تصف العالم أم تخلقه من جديد؟

**أ-اللغة تصف العالم:**

إن علاقة اللغة بالعالم سؤال طرح منذ القديم ، وبالذات عند "هيراقليدس Héraclides " وفي النظرية الأفلاطونية الخاصة بالمعرفة. وتعتبر هذه النظرية اللغة صورة منعكســـــة ومطابقة للعادة و ليس بناء للفكر. فعندما ننطق بالكلمات فإننا نقصد بالتحديد أشياء معينة ، وكذلك بالنسبة لتركيب الجمل، فهو مطابق لتركيب الواقع الحقيقي فعندما أقول القط على السجادة فإنني أرجع إلى أشياء واقعية حقيقية كالقط والسجادة.

إن تنظيم التفكير والمدلولات يصفان الواقع الحقيقي وهذه النظرية التصورية تسمى بالواقعية و نجدها ماثلة عند نحويي القرون الوسطى في مثل نحو مدرسة بور روايال " Port Royal "ومثل رجل المنطق غتلوب فريج"(1848-1925) Gottlob Frege ".

**ب- اللغة تعيد "خلق" العالم:**

تصطدم في العلاقة بين العالم واللغة بتناقض كبير. إذ كيف يمكن لتعبيرين مختلفين أن يعودا للمرجع ذاته؟ فمثلا لماذا لا يكون للشمس وكوكب النهار المدلول ذاته رغم أنهما يرجعان للمرجع نفسه.

تقول النظرية الواقعية بان لكل تعبير مرجع واحد وواحد فقط وبالمقابل فإن لكل مرجع تعبير واحد وواحد فقط. ويمكن أن الكلام ذاته على القط والسجادة. حين نقول أن السجادة تحت القط وهي الوضعية ذاتها للمثال الأول.

في تصور آخر لعلاقة اللغة بالعالم تجعلنا نعتبر أن العلامة اللغوية ليست انعكاسا دقيقا وكاملا للمرجع، ولكن انعكاسا ناجما عن إعادة بناء الفكر للواقع ، ويعبر عن هذا التصور بـــ: "الاسمية" ويمثله المفكر غيوم دوكام "Guillaume d'occam" في العصور الوسطى وبعض فلاسفة بريطانيا التجريبيين و على رأسهم جون لوك (1632-1704).

وحسب هذه النظرية، فإن هذه اللغة تفسر تصورنا لحقيقة الأشياء. فمثلا عندما نقول شروق الشمس وغروبها فهذه العبارة تمثل تصورنا لدورة هذا الكوكب، وليس الحال كذلك في نظر علماء الفلك الذين يدركون أن الشمس لا تشرق ولا تغرب. و بالتالي فإن اللغة لا تخنق الحقيقة ولكن تنظمها و تركبها. هذا التصور للغة كمصفاة للحقيقة طوره العالم اللغوي الدانماركي "لويس يلمسف " (Louis Hjlmslef).

## 2- الخصائص اللسانية للمرجع

### أ- هل هناك كلمات أكثر مرجعية من غيرها ؟

إن المرجع في اللسانيات هو العلاقة التي تنجزها العلامة بالدال والمدلول والموضوع الذي يحيل إليها، والذي يتصف بالواقعية، مثلا "القط"، أو الخيالية ك"أحادي القرن" ، هذا ما ندعوه بالمرجع.

توجد في اللغة علامات لها مرجعيات خاصة بالفرنسية كالأسماء والأفعال والصفات وبعض الظروف وفعلا فإن هذه الكلمات كالطاولة ويمشي وجميل تفرض مسبقا وجود شيء ما في الواقع مثل الطاولات والمشي والجمال، لكي تعين هذه العلامة اللسانية وهو ما نسميه التسمية.

فإذا كان لها صفة التسمية، فإن هذه العلامات تعود للمرجع ذاته. للأسماء قدرة مرجعية من الأفعال أو الصفات . فحين أقول "طاولة" فإنني أحيل مباشرة على مرجع الطاولة، وبالمقابل إذا قلت جميل فهذا لا يعني الإحالة على مرجع الجمال لأنني مضطر لإدخال مرجع آخر هو موضوع الجمال.

**ب-المرجع والتفسير:**

إن تفسير الملفوظ يستدعي استحضار ظروف خارجة عن لسانيات الاتصال. وإن الحاجة تبقى ضرورية في بعض الحالات . ففي جملة "سأراك غدا" ،تكون عملية التفسير غير كاملة إذا لم نعين مرجع الضمائر، إذا كنا لا نعرف متى قيلت هذه الجملة ، ويعطينا موقف الاتصال هذه التعيينات المرجعية وأحيانا لا يكفي هذا الموقف. فإذا قلت أريد هذا الكتاب و أنا أدخل مكتبة فإن اسم الإشارة "هذا" يجب أن يتكئ على إشارة تعين الكتاب موضوع الاختيار،إذا أردت من البائع أن يعطيك ما طلبت بالتحديد.

وإذا فإن معنى "هذا" ليس ليعين المرجع و في بعض الحالات لا نبحث عن مرجع الضمير خارج النص و لكن داخل النص ذاته، ففي جملة" عندما لا تكون عاملة النظافة فهي في السلم" فإن الضمير يحيلنا إلى البديل عاملة النظافة الذي يسبقه في النص ، حينئذ نكون قد عنينا العائد إذا الضمير يسبق البديل المذكور. كقولنا " إذا لم تكن هي في حجرتها فعاملة النظافة في السلم" فإننا نعني العائد الثاني .

إن مسألة المرجع لها علاقة بالأساس بفلسفة اللغة. فقد رفضت اللسانيات البنوية دراسة العلاقة بين العلامة اللسانية والمرجع الذي هو ليس جزءا من نظام اللغة الموضوع الوحيد لها. أما لسانيات الخطاب فقد أدمجت السياق الخارجي للسانيات، وحينها ظهرت مسألة المرجع في هذا التخصص.

**الاستعمـــال والقيـــاس L'usage et la Norme**

إذا بحثنا في تمثل لغة معينة فنحن كثيرا ما نصاب بالحرج: هل أمثل اللغة كما هي منطوقة، أم علي تمثيلها كما يجب أن تنطق أو كما هي منطوقة بصورة جيدة؟ هذا السؤال أساسي في نحو كل اللغات، أما اليوم فتسعى اللسانيات إلى الوصف العلمي للغة والانشغالات الخاصة بالقياس. وقد طرح هذا الهدف مشكلا عميقا وهو الحدود الفاصلة بين الاستعمال والقياس.

## 1 – الاستعمال والقياس "إشكالية سوسيو ثقافية":

### أ – أصول مفهوم القياس:

ارتبط الوعي بمفهوم اللغة في التاريخ بتطور فكرة القياس . فلم يكن سهلا أن نصف اللغة الفرنسية في القرن 16 في فرنسا عندما بدأ النحويون بالاهتمام بالطريقة التي يتكلم بها الناس في المملكة، وجدوا ميزة للهجات الإقليمية والتقنية والاجتماعية، وكذا الأنواع التي يدرسها اليوم علم الاجتماع اللغوي. إن الفكرة السائدة آنذاك هي أن اللغة الفرنسية تأسست بوساطة مفهوم القياس. ومن الملاحظات التي قيلت عن اللغة الفرنسية سنة 1947 ما في جمع كل ما قيل في النحو حول نوعية الفرنسية (Vauglas) اقترحه فوجلاس المنطوقة، قائلا: "هي أقدس مجموعة في البلاط ويمكن أن يضاف إليها أعمال مختارة لبعض الكتاب و هو ما يسميه الاستعمال الجيد للغة". إن هذا التصور ومحافظ حسب التفسير التاريخي لكي تتحول بعد ذلك الأعمال الأولى للأكاديمية الفرنسية ".

إن هذا التصور محافظ حسب التفسير التاريخي لكي تتحول بعد ذلك الأعمال الأولى للأكاديمية الفرنسية إلى قياس دقيق . إن هذا المثال في اللغة الفرنسية ليس فريدا رغم أن مفهوم القياس له دور هام. يؤكد علم الاجتماع اللغوي بأن أكثر اللغات تظهر عليها اختلافات سريعة، وهو بهذا لا يشير إلى القياس ولكن إلى التنوع الشرعي أو إلى اللغة المعيارية أو إلى اللغة الرسمية. وتعرف اللغة المعيارية بوجود بعض الصفات في مادة علم الأصوات والمعجم والتركيب والأسلوب وتربط عادة بالاستعمال المفتوح.

### الشـــــذوذ والممـــاثلة ( القياس)

إن النقاش الطويل الذي استمر لقرون بين النحاة حول مفاهيم القياس والاستعمال احتد من جديد حول دور المماثلة أو القياس في اللغة. ففي القرن(17)، انقسم النحاة بين من يرى اتجاها للغة نحو القياس والقاعدة والتماثل ( كما نرى مثلا في تراصف الصرف ) وبين من يرى عكس ذلك أي اعتبار اللغة محكومة بالاستعمال الذي يستخف بالنحو ويدخل في الدراسة باستمرار كل أنواع الأخطاء وكل ما جاوز القواعد.

## 2- الاستعمال و القياس في التنظير اللساني

### أ – بين النحو و اللسانيات :

ساعد التعارض بين القياس والاستعمال في تاريخ اللسانيات في تمييز النحو التقليدي عن اللسانيات . حيث يدافع النحو على القياس الأصولي بينما تطمح اللسانيات أن تكون وصفية. حاولت اللسانيات الوصفية إعادة استعمال تصورات القياس والاستعمال بمعنى مختلف بفضل جهود اللساني الدانماركي " لويس ترول يلمسلف (Louis Trolle Hjelmslev) واللساني الروماني أوجينيو كوزيريو (Ev genio Coseriu).

بالنسبة للأول والثاني اعتبر مفهوم القياس والاستعمال موجه لفهم معنى النظام. فعند يلمسلف مثلا يعني القياس مجموعة الصفات المميزة لنظام اللغة ، فمثلا يتكون الصوت / I / من صفات كافية تميزه عن بقية صوائت اللغة مثل/R/

يجمع الاستعمال كل المنجزات الممكنة خاصة الاهتزازات. ومن هذه الظاهرة استنتج 'كوزيريو' أن القياس يجمع مجموعة من القيود المفروضة من المجتمع في استعمالنا للغة.

ولكي نسترجع أمثلة الصوائت توجد منجزات له التي وإن لم تسطع تفريق هذا الصوتم R / / إلى اللغة الروسية مثلا، عن غيره فهي مفروضة من المجتمع، فإذا نطقت / R/ سيفهم أن هي المقصودة رغم أنني ابتعدت قليلا عن القياس.

### ب- غموض صعب القياس:

إن فكرة القياس أساسية في بناء الوصف اللساني. وحتى وإن أرادت اللسانيات أن تتخلص من الأصولية يمكن لنا أن نتساءل عن وجود فكرة القياس في مجالات أو مدارس تؤسس اليوم لهذا التخصص. هذا اللوم وجه للنحو التوليدي الذي يرتكز على تصور مجموعة من الجمل غير ممكنة القياس. وفي التداولية أيضا لا يستطيع الوصف إنكار وجود تفسير مثالي بالتبادل.

صاحب مفهوم القياس والاستعمال بغرابة تاريخ اللسانيات في كل مراحلها، أما اليوم فيطمح الوصف اللساني تجاوز كل مرجعية للقياس ولكن للحقيقة . والصعوبة تكمن في اعتبار

اللسانيات في كل خصائص الاستعمال وسيرون عن قريب زوال تخصصهم إلا بمقدار كون العموميات إشكاليات مطروحة.

يتبع..

**المصدر**:

Siouffi, Gilles & van Raemdonck, Dan, 1999, *100 fiches pour comprendre la linguistique*, Breal, (ISBN 2842914538)